الفصل السادس

الماسونية
في الدول العربية الأخرى

الماسونية بين العراقيين:

إن المعلومات التى لدينا حول تاريخ النشاط الماسونى فى العراق أثناء الحكم العثمانى مثيلتها بالنسبة لباقى الدول العربية. ففى سنة ١٩٢٥م/ ١٣٠٤هـ ش كتبت إحدى الصحف العراقية أن شخصا يدعى مستر موير (Mr. Muir) قام بتأسيس محفل ماسونى فى البصرة. وأضافت هذه الصحيفة أن عدداً من المحافل الماسونية قد تأسس فى تلك المدينة فى سنة ١٨٣٩م/ ١٢٥٥هـ وقد وصل عدد أعضائها فى سنة ١٩٢٥م/ ١٣٠٤هـ ش إلى سبعمائة عضو. وإذا كان هذا صحيحاً فإننا يجب أن نفترض أن الماسونية قد تأسست فى مدينة البصرة على أيدى مديرى شركة الهند الشرقية الإنجليزية فى هذه المدينة التى تعتبر ميناء تجارياً مفتوحا أمام الأجانب وذلك بهدف الحفاظ على مصالح الإنجليز فى الهند والخليج. ويبدو أنه لا توجد وثائق واضحة تؤكد هذا الإدعاء الذى ادعته الصحيفة العراقية. وعلى أى حال فإن كلمة «الماسونية» التى كانت تقرأ عند العراقيين أيام الحكم العثمانى باسم «الفرمصونية» لم تكن مجهولة فى العراق وكانت تستعمل بمدلول واحد مع كلمات مثل «الكفر والإلحاد» والتهويد «وخدمة الأجانب» وقد أشرنا فى الفصل الخامس بالماسونية بين المصريين إلى أن الشيخ فرغلى حاكم خوزستان القوى، كان له نشاط واسع فى مجال الماسونية فى نفس الوقت الذى كان فيه على صلة وثيقة بالعراق. ولا يستبعد على الوردى الباحث العراقى أن الشيخ خزعل ساهم فى تأسيس المحافل الماسونية فى العراق كما أن الكثيرين من العلماء والأدباء العراقيين الذين كانوا على صلة به استطاع أن يضمهم إلى طائفة الماسون(١). ويرجع باحث آخر من العراق – نجده فتحى صفوة – أن شركة الهند الشرقية الإنجليزية هى التى قامت بتأسيس أول محفل ماسونى فى هذه المنطقة وكان الشيخ خزعل أول رئيس له. ويذكر صفوة أيضا أن وثيقة سرية ظهرت بعد أن حل المحافل الماسونية فى مصر واستيلاء الحكومة على وثائقها تثبت أن من بين الأعمال التى أدرجت فى محضر جلسة ١٦ ديسمبر ١٩٢٣م/ ١٣٠٢هـ ش فى محفل بالقاهرة تحت اسم «المحفل العباسى» رقم ٢٢٣، أنه قد تم منح نوط الشرق للشيخ خزعل رئيس «محفل خزعل» وللأستاذ الأعظم للماسونية فى العراق وذلك نظير خدماته الجليلة للماسونية(٢).

وعلى أى حال فإن البصرة تعد أول قاعدة للماسونية فى العراق وذلك لأنها كانت ميناءً

مهما كما كانت مقراً لكثير من الشركات الأجنبية ويعيش فيها عدد كبير من الأجانب أو يمرون عليها فى طريقهم إلى الهند. وبالإضافة إلى نفوذ شخصية الشيخ خزعل فإنه منذ منتصف القرن التاسع عشر فإن كثيرا من المؤسسات التجارية الإنجليزية كانت موجودة فى البصرة وكانت لها صلات تجارية مع العراق والهند وكانت تبذل مساعيها فى سبيل نشر النفوذ والاستعمار الإنجليزى ومن المحتمل أن موظفى هذه الشركات قاموا بتأسيس عدد كبير من المحافل الماسونية فى هذه المدينة وجذبت لعضويتها عدداً من علمائها العراقيين.

وأول محفل ماسونى لدينا معلومات مؤكدة حوله هو «محل ما بين النهرين» الذى قام الإنجليز بتأسيسه بعد احتلالهم العسكرى للعراق بفترة قصيرة وذلك فى سنة ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ حيث خصص هذا المحفل للعسكريين والموظفين الإداريين الإنجليز وطبقاً للمعلومات المؤكدة فإن عشرة محافل على الأقل تم تأسيسها فى المدن العراقية، وهى على النحو التالى:

١- «محفل ما بين النهرين» فى البصرة، فى سنة ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ.

٢- «محفل بابل» فى البصرة، فى سنة ١٩٢٢م/ ١٣٠١هـ ش، وهذا المحفل كان أحياناً يعقد جلساته فى آبادان.

٣- «محفل صدق الوفاء» فى البصرة.

٤- «محفل دار السلام»، فى بغداد.

٥- «محفل البصرة».

٦- «محفل الفيحاء» وكان هذا المحفل مخصصاً للعراقيين الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية ولذلك كانت لغته الرسمية هى العربية.

٧- «محفل العراق» وقد خصصت عضوية هذا المحفل للإنجليز المقيمين فى العراق.

٨- «محفل كركوك» وكان هذا المحفل يعقد جلساته فى مقر شركة النفط العراقية.

٩- «محفل دجلة» فى الحيانية.

١٠- «محفل بغداد» فى مدينة العراق(١).

وكان «محفل صدق الوفاء» يتبع مباشرة «المحفل الأكبر الوطنى المصرى» أما باقى المحافل التسعة فكانوا يتبعون «المحفل الإنجليزى الأعظم» (Grand Lodge of England) وكانت هذه المحافل والجمعيات الماسونية تعمل تحت إشراف «جمعية الأخوة» التى كان مقرها فى بغداد وهذه الجمعية كانت تعمل كحلقة وصل بين هذه المحافل و»المحفل الأعظم» فى لندن. كما ظهر أيضا محفل آخر فى البحرين وآخر فى الكويت وكان هذان المحفلان على صلة بجمعية الإخوة فى بغداد.

وفى سنة ١٩٢٦م/ ١٣٠٥هـ ش ظهرت فى الصحف العراقية مقالات كانت دليلاً على

وجود نشاط واسع للماسون وأيضا ركيزة قوية إلى حد ما وقد أكدت هذه الصحف إلى حد ما تصريحات المراسل الذى أخبر بوجود ٧٠٠ شخص من الماسون فى البصرة. وفى نفس السنة توفى شخص ماسونى كاثوليكى كان عضواً فى محفل «صدق الوفاء» ولكن القساوسة رفضوا القيام بإجراء المراسم الدينية لدفنه ومنعوا دفنه فى المدافن التابعة للكنيسة الكاثوليكية رغم أنهم كانوا على علم بأن هذا الشخص كان قد تبرع بجزء من ثروته لإنشاء هذه الكنيسة. وعند هذه الواقعة أعلن الماسون فى البصرة وبغداد اعتراضهم الشديد على هذه الإجراءات وقاموا بنشر مقالات كثيرة فى الصحف التابعة لهم هاجموا فيها بشدة هؤلاء القساوسة. وفى ١٥ ديسمبر ١٩٢٦م/ ١٣٠٥هـ.ش نشر عبد الرحمن أفندى الهاشمى فى جريدته المسماة «الإخاء» مقالات تحت عنوان «تحيا مؤسسات الحرية الماسونية فى الشرق والعالم الشرقى». وفى هذه المقالات هاجم بشدة تصرفات القساوسة الكاثوليك إزاء جثمان هذا الماسونى وفى ٢٣ ديسمبر نشرت جريدة العراق الصادرة فى بغداد مقالة تحت عنوان «انتقام من ميت» وصفت فيها هذا الماسونى الميت بأنه رجل متعفف ومصلى وملتزم ومتمسك بالمذهب الكاثوليكى وادعت فيها أن هذا الرجل كان يؤمن بمعتقدات الماسونية بنفس القدر الذى كان يتمسك به بالمذهب الكاثوليكى وفى اليوم التالى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٦م كتبت صحيفة الأوقات العربية مقالة باللغة الإنجليزية فى نفس الموضوع، وبعد ذلك بأربعة أيام نشرت هذه الجريدة مقالة باللغة العربية وقع كاتبها بعبارة «الماسونى» وفيها هدد القساوسة على النحو التالى:

«هل تعلمون أنكم بمثل هذه الأعمال التى تقومون بها تدفعون أتباع الماسونية للبحث فى الحقائق الموجودة فى الإنجيل الشريف وقياسها بما تقومون به من أعمال الآن؟» (٤).

وفى الثلاثينات من القرن العشرين اضطرت الماسونية لأن يظل نشاطها فى العراق سرياً. ويرى على الوردى أن سبب هذه السرية بل وحتى انكار الماسون لهويتهم تمثل فى رعايا مؤيدى النازية ثم الشيوعيين فى العراق وذلك لأن النازيين وكذلك الشيوعيين كانوا على عداء وعدم تواؤم مع الماسون فالنازيون كانوا يعتبرون الماسونية إفرازاً من السياسة الإنجليزية والفرنسية بينما اعتبرها الشيوعيون من المؤسسات التابعة للطبقة البرجوازية(٥).

ولكن من ناحية أخرى يعتقد نجدة فتحى صفوة أنه فى مجتمع صغير مثل مجتمع بغداد فى ذلك الوقت فإن جميع الماسون تقريباً كانوا قد عرفوا بأنهم من العلماء وخاصة أنهم تمكنوا من تأسيس المحافل الماسونية بتصريح رسمى وإجراءات رسمية حكومية(٦).

وبعد ثورة ١٥ يونيو ١٩٥٨م/ ١٣٣٧هـ.ش أصدر نظام العراق الجديد أوامره بإغلاق جميع المحافل الماسونية، وبهذه الأوامر كانت حكومة العراق أول حكومة عربية تخطو بخطواتها فى هذا السبيل. ففى ذلك العام قامت الحكومة بمصادرة أموال المحافل الماسونية، ومنذ ذلك التاريخ تم نشر قوائم كثيرة بأسماء الأشخاص الذين كانوا قد انضموا إلى الماسونية فى العراق

منذ بدايتها وحتى سنة ١٩٥٨م/ ١٣٣٧هـ ش. ولما كانت هذه القوائم غير متسقة أو متشابهة فإن كثيراً من المتخصصين فى تاريخ الماسونية بالعراق لا يعولون على حقيقتها كثيراً ويرون أن كثيراً من الناس قاموا بإدراج أسماء أعدائهم أيضا فى هذه القوائم وذلك بهدف فضحهم أمام المجتمع العراقى ونفس هذه القوائم الغير متسقة لا تحوى فى مجموعها أسماء أكثر من ٦٢٥ شخصاً من الماسون، كان منهم ٢٨٥ من العرب المسلمين، ١٢١ من اليهود، ١٠٧ من المسيحيين والأرمن، و١٢ كردياً، وثلاثة من التركمان، كما كان ٩٧ شخصاً من هؤلاء الماسون أيضا من الأجانب المقيمين فى العراق حيث كان منهم ١٢ من الهنود والباقى من الإنجليز وكان هؤلاء الماسون الأجانب تحت الحماية فى العراق أو كانوا يعملون فى السفارة الإنجليزية أو الشركات التجارية الإنجليزية مثل شركة البترول. كما كان الماسون العراقيون يعتبرون جميعاً من الطبقة البرجوازية، وكان من بينهم رئيس وزراء، و٣٥ وزيراً سابقاً، و٤٠ طبيباً وطبيب أسنان و٣٠ ضابطاً من كبار الرتب فى الجيش و١٢ وكيل نيابة، و١٨ سفير دبلوماسى على مستوى عال، و١٥ شخصاً من الحاصلين على درجة الدكتوراه فى تخصصات مختلفة، و٢٢ شخصاً من كبار الموظفين فى السلطات التنفيذية مثل المحافظين وأمثالهم.

وفى سنة ١٩٦٨م/ ١٣٤٧هـ ش عندما قامت ثورة ١٧ يونيو بزعامة حزب البعث الاشتراكى أبدت الثورة القرار السابق الذى أخذته حكومة العراق بعدم شرعية الماسونية. وفى سنة ١٩٦٩م/ ١٣٤٨هـ ش تم إصدار قانون العقوبات الخاص بمسألة الماسونية، وفى سنة ١٩٧٥م/ ١٣٥٤هـ ش تغير هذا القانون بحيث اعتبر الماسونية من المؤسسات الصهيونية ووضع عقوبة الإعدام لكل من ينضم إليها أو يقوم بالدعاية لها أو يقدم مساعدة أو تأييد مادى أو معنوى لها. ويبدو أنه لم يحدث بعد ذلك أى نوع من نشاط الماسونية فى العراق(٧).

الماسونية فى سورية ولبنـان وفلسطين والأردن:

إن أول محفل ماسونى تأسس فى هذه البلاد كان فى سنة ١٨٦٢م/ ١٢٧٩هـ فى بيروت وكان اسمه «محفل فلسطين» ويتبع «المشرق الاسكتلندى الأعظم» وكان رئيسه السيد الدريج (Mr. Aldrige) الذى كان القنصل الإنجليزى فى سوريه. ولم تتمتع الماسونية فى سورية ولبنان بسمعة طيبة لأنها كانت تعد سبة مهنية أو كفراً وإلحاداً ومن أعظم مهلكات الدين والمذهب ومع هذا كله فقد انضم إليها عدد من العلماء السوريين والأجانب فى سوريه. ولكن فترة نشاط هذا المحفل (محفل فلسطين) لم تستمر طويلاً وذلك لأن رئيسه الإنجليزى رحل عن هذه المنطقة فى سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٥هـ وبعد ذلك بعام واحد ١٨٦٩م/ ١٢٨٦هـ تم تأسيس محفل آخر باسم «محفل لبنان» كان تابعاً «للمحفل الفرنسى الأعظم» وانضم إليه عدد من كبار رجال الدولة والعلماء ومعهم كثيرون من أعضاء «محفل فلسطين». وينسب جرجى زيدان الذى كان ماسونياً لبنانياً ينسب الكثير من الأنشطة الإنسانية والخيرية إلى «محفل لبنان»(٨).

كان اعضاء هذا المحفل الماسونى يتشكلون من خليط من مختلف المسيحيين واليهود والمسلمين. وفى البداية كانت رئاسة هذا المحفل معقودة لرجل فرنسى ثم تولى هذا المنصب رجال مثل جرجى الخورى، سليم الريس، نقولا حجى، يوسف عربيلى، اسبرشقير وجرجى سُرسق الواحد بعد الآخر. وفى هذا الوقت أيضاً كان راشد باشا الوالى العثمانى على سوريا وهو الماسونى الذى أصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية العثمانية.

بدأت الماسونية فى سورية فى سنة ١٨٦٤م/ ١٢٨١هـ وطبقاً لتقارير خبراء تاريخ الماسونية فى العالم العربى فإن أول شخص يحمل هذه الظاهرة إلى سوريه كان الأمير عبد القادر الجزائرى الزعيم الأسبق لحركة المقاومة الشعبية فى الجزائر، فبعد حربه الطويلة الفرنسيين فى الجزائر ظل يعيش لسنوات طويلة بعيداً عن وطنه حيث قضى مدة فى دمشق وكان قد دخل فى زمرة الماسون منذ مدة طويلة وقام بتأسيس محفل ماسونى فى دمشق تابع «للمحفل الإيطالى الأعظم» (Grand Lodge of Italy) باسم «محفل سورية» وقد ظل هذا المحفل يمثل المحفل الماسونى الوحيد فى سوريه كما ظل أحفاد عبد القادر الجزائرى يتم انتخابهم لمنصب «الأستاذ الأعظم» لهذا المحفل مرات عديدة بعد وفاته. وقد ذكر كثير من الكتاب أيضاً أنه بعد ذلك انتشرت الماسونية فى الكثير المدن السورية الأخرى مثل حمص وحلب والإسكندرونه وعينتاب وانطاكية واللاذقية(٩).

وفى سنة ١٩٨١م/ ١٣٠٩هـ قام شاهين مكاريوس بتأسيس محفل فى بيروت باسم «محفل فينيقيا» بعد أن حصل على إذن بذلك من «المحفل المصرى الوطنى الأعظم» ونيابة عن عدد من الماسون فى بيروت وعهد برئاسة هذا المحفل إلى خليل أفندى على الفور، وقام خالد باشا حاكم بيروت بتنفيذه، واضطر أعضاء «محفل فينيقيا» لعقد جلساتهم بشكل سرى فى المغارات القريبة من مدينة بيروت.

ويرى الكثير من المحللين مثل على الوردى أن السلطان عبد الحميد قام بإغلاق «محفل فينيقيا» لأن هذا المحفل كان تابعاً «للمحفل المصرى الوطنى الأعظم» وكان السلطان يخشى أن تقوم الماسونية المصرية بنشر نفوذها فى سوريا عن هذا السبيل(١٠). وبعد إغلاق «محفل فينيقيا» رحل خالد الريس الرئيس السابق لهذا المحفل إلى أمريكا وأسس أول محفل ماسونى للعرب فى أمريكا فى مدينة شيكاغو. وطوال الحرب العالمية الأولى لم تحدث أنشطة ماسونية كثيرة فى سورية ولبنان ولكن بعد ذلك بدأت سلسلة من الأنشطة ربما بتشجيع من الإنجليز والفرنسيين، ففى سنة ١٩٢٤م/ ١٣٠٣هـ س أقيم مؤتمر فى مدينة بعلبك باسم «مؤتمر الأهرام» شارك فيه عدد ملحوظ من علماء وخبراء الدول العربية صار الكثيرون منهم فى مناصب عليا بعد ذلك مثل منصب الوزير أو رئيس الوزراء فى سوريه ولبنان ويوجد فى مركز الوثائق التاريخية بمدينة دمشق وثيقة محفوظة تثبت أن محفلاً ماسونياً تابعاً لاسكتلندا باسم «نور دمشق» قام بتأسيسه فارس الخورى رئيس مجلس النواب ورئيس الوزراء السورى الأسبق

وتعهد هو برئاسته. ويبدو أن الماسونية فى سورية ولبنان قد ضاعفت من نشاطها خلال السنوات الأخيرة من الثلاثينات فى القرن العشرين إلى درجة أنه كان يوجد فى مدينة بيروت وحدها ثلاثة محافل ماسونية كانت تابعة «للمحفل المصرى الوطنى الأعظم». وغير أن معظم المحافل الماسونية فى سوريه ولبنان كانت تابعة بشكل عام «للمحفل الفرنسى الأعظم» الذى كان متورطاً فى مسيرة الأحداث السياسية بشكل واضح وعلنى، بينما كان «المحفل الإنجليزى الأعظم» و«المحفل الاسكتلندى الأعظم» يمارسان نشاطهما السياسى بأسلوب مستتر وغير مباشر، وقد توسع النفوذ الفرنسى فى فترة وجود سوريه ولبنان تحت الحماية الفرنسية وكانت المحافل الماسونية عاملاً أساسياً لتثبيت دعائم النفوذ الفرنسى فى البلدين. فقد كان البند التاسع من توصيات «مؤتمر الأحرار» الذى عقد فى بعلبك يأمر الماسون بالتعاون مع نظام الفرنسيين الذى يضع سوريه ولبنان تحت حمايته حتى أنه تم اختيار ثلاث لجان من الماسون قبل هذا المؤتمر حتى يقوموا بمتابعة قرارات المؤتمر وتنفيذها(١١). وهناك رسالة بتاريخ ٣١ ديسمبر من نفس العام باختيار أعضائه ومسئوليه، واختير حنا ملك لرئاسته كما حصل رجال آخرون منهم حسن غزاوى وزكى الفحام وعزه ميريدن وسعيد فتحى السمان على مناصب فى هذا المحفل أيضاً. وبعد ذلك بعدة شهور وفى تاريخ ٦ مارس ١٩٣٦م ١٥ اسفند ١٣١٥هـ ش تم تأسيس «المحفل الإقليمى الأكبر لسوريا» وأصبح حنا ملك هذا سكرتيره العام ورئيسه وشملت إدارته ثلاثة محافل ماسونية أخرى باسم «محفل قاسيون» فى دمشق، و«محفل فاروق» فى حمص، و«محفل خالد بن الوليد» فى حمص. ومع أن المحفل الأكبر الإقليمى لسوريا كان يعتبر محفلاً مركزياً متحداً إلا أنه كان يخضع لإشراف محفل «الشرق الأكبر المصرى» وقد قام محمد رفعت سكرتيره العام نيابة عن «الأستاذ الأعظم» للمحفل المركزى المصرى بافتتاح «المحفل المتحد الإقليمى» لسوريا(١٢).

وفى سنة ١٩٣٩م/ ١٣١٨ش قرر الماسون العلماء فى سوريه خلال الجلسة التى عقدوها أن يقوموا بتأسيس «محفل أعظم» (Grand Lodge) يجعلوا تحت رئاسته وإشرافه جميع المحافل المؤسسة فى سوريا ولبنان، وفى ذلك الوقت تم اختيار عطا الأيوبى لمنصب «الأستاذ الأعظم» لهذا «المحفل الأعظم» ومن ذلك الوقت أصبح «المحفل الأعظم» معترفاً به رسمياً من قبل أهم المحافل الماسونية العظمى فى العالم. ولم يمضْ كثير حتى توقف هذا المحفل عن نشاطه بسبب الحرب العالمية الثانية ولكن بعد هذه الحرب بذلت جهود كثيرة لاستئناف النشاط الماسونى فى هذه المنطقة، وظل هذا النوع من النشاط يمارس إلى مدة طويلة لاحقة. ولكن فى سنة ١٩٦٥م/ ١٣٤٤ش. بادرت حكومة سورية عقب حكومتى العراق ومصر بوقف هذا النشاط بإغلاق جميع المحافل الماسونية وجمعيات الروتارى ووجهت تحذيرها للشعب بضرورة الابتعاد عن الانضمام والتبعية الماسونية والروتارى وإلا فإنهم سوف يقعوا تحت طائلة القانون(١٣).

وعلى الرغم من هذا الأمر القانونى وإغلاق جميع المحافل الماسونية فى سوريه فإننا نجد فى تقرير صدر من الماسون فى أمريكا فى سنة ١٩٧١م/ ١٣٥٠س حديثاً عن متابعة النشاط الماسونى فى هذه الدولة فقد جاء فى هذا التقرير أن محفلاً ماسونياً تابعاً لماسونية نيويورك باسم «ابراهيم الخليل» مازال باقياً حتى الآن فى دمشق(١٤). ومن الواضح انه ليس لدينا أية معلومات عن سبب وجود هذا المحفل وماهية نشاطاته.

وفى لبنان بحكم اختلاف بنية مجتمعها عن المجتمع السورى لم يظهر خط مماثل لما حدث فى سوريه للقضاء على الماسونية ولكن الحكومة وضعت بعض الضوابط والمحددات لاستمرار النشاط الماسونى فيها فعلى سبيل المثال قامت الحكومة بإلغاء برنامج مؤتمر الماسونية العالمية الذى كان من المقرر عقده فى لبنان فى أغسطس ١٩٦٥م/ ١٣٤٤ش. رغم أنه كان قد تقرر أى يشترك فى هذا المؤتمر ألفان من الماسون كممثلين لأهم المحافل الماسونية العالمية، وحول هذا الموضوع أعلن أديب الفرزلى نائب رئيس مجلس النواب اللبنانى والذى كان «أستاذاً أعظم» للماسونية: أن الحكومة قامت بإلغاء برنامج المؤتمر نزولاً على رغبته، وذلك لأن الكثير من الماسون الصهاينة كانوا يريدون أن يتسللوا إلى داخل البلاد عن طريق هذا المؤتمر. ومع هذا فإن «المحفل الأكبر اللبنانى» قام بدعوة عدد من «الأساتذة الكبار» من جميع أنحاء العالم لزيارة لبنان حيث وصلوا إلى بيروت فى شهر أغسطس ١٩٦٥م/ ١٣٤٤ش وقام أديب الفرزلى باستقبالهم وذهب معهم لمقابلة رشيد كرامى رئيس الوزراء اللبنانى ومن ناحية أخرى كان الرأى العام فى لبنان رافضاً للنشاط الماسونى إلى درجة اضطرت معها الحكومة اللبنانية أن تصدر اوامرها بإغلاق المحافل الماسونية ولكن هذه الأوامر لم تدخل مطلقاً مرحلة التنفيذ الجدى ولهذا السبب تابعت المحافل الماسونية نشاطها بشكل عملى. وفى ١٩ يناير ١٩٧٢م/ ١٣٥٠هـ ش. كتبت وكالة الأنباء الفرنسية أن صائب سلام رئيس الوزراء اللبنانى أصدر أوامره بإغفال الأمر السابق الذى كانت الحكومة اللبنانية قد أصدرته بإغلاق المحافل الماسونية فى لبنان وأن المحافل الماسونية تستطيع متابعة اعمالها بشكل قانونى(١٥).

وفى فلسطين كان هناك أيضاً بعض الماسون الذين كانوا على علاقة بالمحافل الماسونية فى لبنان وسوريه. ولكن أول محفل ماسونى فى هذه البلاد ويسمى «محفل سليمان الملوكى الأساسى» لم يكن قد أسس فى سنة ١٨٧٣م/ ١٣٩٠هـ. وبعد ذلك ظهرت محافل ماسونية أخرى فى المدن والقرى الفلسطينية حيث يمكننا أن نذكر منها محافل (باكس) (Pax) فى القدس برئاسة وهبة تمارى «هيكل سليمان» فى يافا و«الاتحاد الفلسطينى» و«سينا» فى غزه(١٦).

ويذكر لنداو إن أول محفل ماسونى فى يافا قام بتأسيسه المهندسون الفرنسيون الذين كانوا يعملون فى السكك الحديدية وكان ذلك فى سنة ١٨٩١م/ ١٣٠٩هـ(١٧). وكان الكثيرون من أعضاء المحافل الماسونية فى فلسطين يعتبرون من الشخصيات البارزة فيها.

وقد رفض أعضاء الكثير من المحافل الماسونية الأخرى هذا التقارب الذى يتم بين هذه المحافل واعترضوا على هذا أمام المحفل الاسكتلندى الأعظم وطلبوا من المنظمات الماسونية فى مصر أن تعترف رسمياً بالمحفل الوطنى الفلسطينى الأعظم ولكن «المحفل الوطنى المصرى الأعظم» لم يظهر أى تعاطف مع هذه الرغبة وبالإضافة إلى الاعتراف بها رسمياً قام بإلغاء ملفات المحافل الماسونية التابعة له فى فلسطين وبارسال وفد إلى فلسطين أيد رسمية المحفل الوطنى الفلسطينى الأعظم الذى كان يرأسه كروتسكى اليهودى وكان عمر البيطار من بين الماسون الذين اعترضوا ورفضوا هذه الخطة التى تؤدى إلى اتحاد المحافل الفلسطينية والتى ستؤدى حتما إلى توسيع نطاق نفوذ اليهود وقدرتهم. وقال: إن تأسيس محفل وطنى فلسطينى أعظم لا يقدم مساعدة لأهداف الماسونية لأن الهدف منه هو تحقيق التفاهم بين العرب واليهود وهذا بالضبط هو الذى أبدى العرب اعتراضاً شديداً عليه منذ صدور وعد بلفور (Balfour Declaration)(٢٠).

وبعد الأحداث الدامية التى وقعت فى سنة ١٩٤٨م/ ١٣٢٧هـ ش بين العرب وإسرائيل وضم الضفة الغربية من نهر الأردن إلى حكومة المملكة الأردنية الهاشمية استمرت المحافل الماسونية الفلسطينية تمارس نشاطها بأسلوبها السابق، وقد قام الفلسطينيون الذين رحلوا إلى عمان بتأسيس جمعية ماسونية تابعة للمحفل الاسكتلندى الأعظم. والجدير بالذكر أنه بعد إغلاق المحافل الماسونية فى مصر فى سنة ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ ش ظهر رد فعل سلبى بين شعب مصر وباقى الدول العربية وخاصة الأردن حول هذا الموضوع وأصدر الماسون فى الأردن بياناً أعلنوا فيه أن الصهيونية تقوم باستغلال الماسونية العالمية بأسوأ أساليب الإجرام التى لم تشهدها البشرية حتى الآن ولهذا فإن العرب لا يجب مطلقاً أن يتركوا خندق الماسونية ويتركوا الميدان للصهاينة يجولوا فيه وحدهم ويستطيعون بسهولة أن يحققوا أهدافهم وينشروا دعاياتهم المضللة وأعلنوا فى نفس البيان ظهور منظمة ماسونية باسم «الحركة الماسونية العربية» وأعلن كلاً من عبد المجيد مرتضى والدكتور سليمان البستانى على أنهما «الأستاذ الأعظم» و«الأمين الأعظم» وأعربا عن هدفهما من تأسيس هذه المنظمة على النحو التالى: التعاون مع تلك المجموعة من المنظمات الماسونية العالمية التى تتضامن معهم، تحقيق العدل والعدالة لعرب فلسطين، إطلاع العالم على الأوضاع المفجعة للاجئين الفلسطينيين(٢١).

لم يكن ارتفاع عدد المحافل الماسونية واتساع نطاق نشاط الماسون فى الدول موضع البحث ليبقى دون رد فعل من جانب المفكرين والكتاب ورجال الدين فى المذاهب والأديان المختلفة ففى الحقيقة قامت حرب كان سلاحها القلم بين مؤيدى الماسونية ومعارضيها ونشرت كتابات ومقالات كثيرة ومختلفة حول هذا الموضوع وكان أول كتاب ظهر فى سوريه ضد الماسونية يقلم أحد المسلمين الشيعة ويدعى الحاج عز الدين محمد بن على الشامى العاملى ويحاول الكاتب فى هذا الكتاب الذى كان يسمى «كشف الظنون عن حالة الفرمسون» صدر فى سنة

١٨٧٢م/ ١٢٨٩هـ أن يمنع الناس عن الانضمام إلى سلك الماسونية والماسون بدلائل قائمة على العقل والشرع ويستدل على أن الانضمام إلى جماعة لا تتضح ماهيتها وأهدافها لا يعتبر عملاً عقلانياً واعيا فالعقل يعتبر الامتناع عن الأضرار المحتملة من الواجبات والدخول فى محفل لا يتحدث التابعون له عما يحدث ويجرى داخله هو بمثابة الدخول فى بيت العقارب والأفاعى السامة والأسود الضارية وهو عمل لا يتناسب مع العقل والرجل العاقل لا يدخل فى منزل بمثل هذه المواصفات على الرغم من الآمال الكثيرة فى وجود كتب مفيدة أو ملابس جميلة ومجوهرات لامعة داخله(٢٢).

وخلال السنوات التالية لظهور كتاب عز الدين محمد العاملى ظهرت كتابات أخرى مناهضة للماسونية من قبل أتباع الدين المسيحي أيضا. ويكتب كدورى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين اعتبر الأفكار المناهضة لرجال الدين المسيحيين فى لبنان نفسها متضامنة مع حركة الماسونية ووجدت لها دعاة بين المسيحيين المارون(٢٣). ويذكر بليس (Bliss) الذى ألف كتاباً سنة ١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ حول الأديان والمذاهب فى سوريه وفلسطين الجديدة(٢٤) أنه فى تلك الأثناء كان الجهاز الرسمى وسلسلة مراتب المارون يتعرضون بشدة للتهديد من جانب النشطين التابعين للمحافل الماسونية وباقى الجماعات التى كانت قد ظهرت فى لبنان عقب عودة المهاجرين اللبنانيين من أمريكا. وقد قام لويس شيخو وهو أحد زعماء المسيحيين اليسوعيين بكتابة سلسلة من المقالات المناهضة للماسونية طوال السنوات ١٩١٠: ١٩١١م/ ١٣٢٨: ١٣٢٩هـ وقام فيها بمهاجمة حركة الماسونية فى الدول الإسلامية ومنها لبنان ومصر وتركيا وسوريه وقد خرجت هذه المجموعة من المقالات بعد ذلك تحت اسم «السر المصون فى شيعة الفرمسون» وذلك بشكل مستقل منفصل(٢٥).

ويرى نجدة صفوة أن «السر المصون» الذى كتبه لويس شيخو كان أهم كتاب نشر فى ذلك الوقت ضد الماسونية ويضيف أن لويس شيخو كان عالماً مشهوراً وكتاباته فى مجال التاريخ والأدب العربى تتمتع بقيمة عالية ودرجة رفيعة، ومن الواضح أن صراع المسيحيين مع الماسونية لم يكن ظاهرة جديدة فى ذلك الوقت. ولكن لويس شيخو عرض كلامه مستنداً إلى مصادر ومراجع كثيرة وبلغات مختلفة كانت فى متناول يده وأصبح كلامه بذلك مفيداً للغاية وجديراً بالفكر والتمحيص(٢٦). ومن ناحية أخرى فإن جرجى زيدان الذى كان هو نفسه ماسونياً انتقد بشدة وبشكل خاص كتابات اليسوعيين وجريدتهم المسماة «البشير» لأنهم كانوا قد وقفوا لمناهضة الماسونية(٢٧).

وبعد أن تأسست الحركة الماسونية العربية فى الأردن واعترفت فى بيانها بوجوب النشاط الماسونى فى الأردن وضرورته. أصدر المفتى الأعظم فى الأردن فتوى مطولة أدان فيها الماسونية بشدة.

ويرى على الوردى أن هذه أول فتوى لزعيم دينى إسلامى فى هذا الموضوع(٢٨). وقد كتب مفتى الأردن أن الماسونية تعتبر على أشد الفروض من صنائع اليهود وذلك لأنه يرى فيها علائم وآثار من اليهودية واليهود هم الذين يقومون برئاستها والدعاية لها. وهدف الماسونية هو إعلاء الأخوة الماسونية فوق الأخوة الدينية والقومية وهذا العمل هو فى الحقيقة تفضيل وإعلاء الماسونية على الدين وهذا فى حد ذاته يعتبر كفراً. وإذا كان لهم مثل هذا الهدف والمطلب فإن صداقتهم بالإخوان اليهود سوف تكون حتمية وقد نهى الله تعالى عن الصداقة مع اليهود(٢٩).

المسجد الأقصى واتحاد الأمانى بين الماسونية والصهيونية:

فى أماكن متفرقة من هذا البحث أشرنا إلى أن الكثيرين من أصحاب الرأى يرون أن الماسونية لها مع اليهودية والصهيونية تضامن وتعاون واتحاد وتوافق بشكل كبير. وربما يكون من المفيد أن نتحدث هنا ولو بشيء من الاختصار حول نموذج واضح ومثال بين لذلك التوحد فى الآمال والأمانى بين الماسونية والصهيونية. إن اليهود طوال تاريخهم الطويل كانت آمالهم معلقة دائماً بالاستيلاء على بيت المقدس وقد كان تشكيل دولة إسرائيل بمساعدة الإمبريالية الغربية فى سنة ١٩٤٨م/ ١٣٢٧هـ ش وكذلك الحروب المختلفة التى دارت حتى الآن بين الصهاينة والمسلمين العرب كانت كلها جميعاً فى سبيل تحقيق هذا الهدف والمحافظة عليه.

وكان الصهاينة يريدون بشكل خاص أن يسيطروا على المسجد الأقصى الذى يقع فى الضلع الشرقى لمدينة المقدس القديمة وذلك لأن ما عرف بحائط المبكى (Wailing Wall) والذى القدس اليهود كثيراً يقع فى الناحية الغربية من هذا المسجد ويؤمن اليهود أيضا أن هناك مكان آخر يقدسونه ويسمى «معبد سليمان» كان قد تم تدميره فى القرن الأول الميلادى على يد الإمبراطور الرومانى تيطس «Titus» وكان يقع أيضا فى نفس المكان. وكان الهجوم الدموى الذى قام به اليهود فى المسجد الأقصى فى سنة ١٩٢٩م/ ١٣٠٨هـ ش والذى انتهى بمصرع المئات من المسلمين واليهود كان أيضا بهدف الاستيلاء على حائط المبكى. ولهذا السبب قامت إسرائيل فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧م/ ١٣٤٦هـ ش بالاستيلاء على هذا الجزء من القدس والذى كان يضم المسجد الأقصى ونزعه من سلطة الحكومة الأردنية الهاشمية. وفى نفس اليوم الذى احتلت فيه إسرائيل القدس القديمة (٧ يونيو ١٩٦٧م) أقيمت مراسم صلاة دون أى إعداد مسبق عند حائط المبكى حضرها كل من ليفى اشكول (Levi Eskal) رئيس الوزير الإسرائيلى وموشى ديان (Moshe Dayan) وزير الدفاع، وفى يوم الحادى والعشرين من شهر أغسطس ١٩٦٩م الثلاثين من شهر خرداد ١٣٤٨هـ ش وقع حدث آخر أثار غضب العالم الإسلامى حيث اشتعلت النيران فى المسجد الأقصى فى ذلك اليوم وكان المسلمون يرون أن احتراق المسجد الأقصى من تدبير الصهاينة الذين أرادوا بذلك محو واحد من أقدس الأماكن الإسلامية ومحل معراج رسول الإسلام.

ويبدو أن المؤسسات الماسونية كانت على صلة بما أوردناه حول آمال اليهود والصهاينة فيما يتعلق ببيت المقدس ومعبد سليمان والمسجد الأقصى فحول هذا الموضوع توجد دلائل كثيرة أوضحها وأحدثها جميعاً رسالة كتبها أحد الماسون الأمريكيين بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٦٨م/ ٩ خرداد ١٣٤٧هـ ش أى قبل احتراق المسجد الأقصى بأقل من ثلاثة أشهر تحدث فيها عن رصد أكثر من مائة مليون دولار لشراء أراضى المسجد الأقصى وقد اعتبر كاتب هذه الرسالة أن معبد سليمان يعتبر أول محفل ماسونى وأن النبى سليمان هو أول رئيس لذلك المحفل واقترح إنشاء معبد جديد حول منطقة المسجد الأقصى حتى يستطيع الماسون الأمريكيون إحياء معبد سليمان الذى كان قد خرب منذ ١٧ قرناً على يد تيطوس وإقامته مرة أخرى. وهذا التوحد فى الأمانى بين الماسونية والصهيونية استقر فى الرأى العام وفى الفكر العام لدى المسلمين إلى درجة أن حسين عمر حماده الكاتب السورى رأى أن هناك علاقة وثيقة بين احتراق المسجد الأقصى وأهداف الماسون ومطالبهم. وربما يكون من المفيد أن نورد هنا كل ما جاء فى هذه الرسالة: «إلى أمناء مسجد عمر – المقدس – إسرائيل. المحترمين الأعزاء. لقد ولدت جدتى فى الأردن وأنا الآن أعيش فى أمريكا وأجدادى منهم الأردنى ومنهم الايرلندى وإننى لأفتخر بأنى عربى من جهة الأم ودينى هو المسيحية أيضاً وسوف أكون فى تل أبيب يوم السابع من سبتمبر القادم وفى القدس يوم التاسع من سبتمبر وأتمنى أن أحظى بلقائكم. أعزائى كبار المسئولين عن معبد عمر المقدس! كنت قد كتبت رسالة لم تصل لسبب ما ولهذا السبب فإنى أخبركم الآن بخبر زيارتى. وأنا ورفيقى مورفى (Murphy) عضوان من أعضاء المحفل الماسونى شعارهما هو «الماسون قادة الحرية» وأنتم تعلمون أن معبد سليمان كان أول محفل ماسونى حقيقى وسليمان هو أول رئيس لهذا المحفل، وقد تهدم هذا المعبد فى سنة ٧٠ ميلادية وأنا أعلم أيضاً أن مسجدكم هو ملك شرعى لهذا المعبد والصخرة الغربية منه أيضا هى نفسها التى أخذ جدنا إبراهيم ابنه إسحق ليذبحه عليها. وأعلم أنكم أنتم العرب أبناء إسماعيل وقد قمتم بالدفاع هن هذه الصخرة لقرون طويلة والحمد لله....

فإذا ما سمح لنا أمناء مسجد عمر فإن أتباعى سوف يقومون بجمع مائة مليون دولار أو أى مبلغ آخر يحتاج له وسوف نخصصها لإعادة بناء هيكل سليمان. ويهمنا أن نلفت انتباهكم أن مسجدكم لن يفقد أبداً قدسيته وشرفه وعندما يتم اكتمال بناء المعبد سوف يتم وقفه لسبيل الله ونظام الماسونية العالمى وسوف يعطى لكم دون مقابل وبالإضافة إلى هذا فإنه لو سمحت هيئة الإشراف على المسجد فإن كل أخ ماسونى يتعاون فى بناء وتشييد هذا المعبد سوف يحصل على العضوية فى المحفل الماسونى رقم واحد للملك سليمان فى القدس .. وجميع الماسون فى العالم يشتاقون للعضوية فى محفل الملك سليمان وبالتأكيد فإن أى أحد منهم لم يز هذا المعبد طوال عمره ويأملون جميعاً أن تصل عضوية هذا المحفل إلى أخلافهم وتورث لهم ويجددون هذه العضوية كل عام. وهذا يعنى أن آلاف الدولارات سوف تعرف طريقها سنوياً إلى المعبد

بحيث تكون سنداً للحفاظ على المعبد وصيانته ويخصص جزء منها أيضا للأعمال الخيرية فى مسجد عمر. ويعنى ذلك أن المسجد لن يحتاج أبداً لجمع الأموال من الأعضاء. وإنى لأؤكد على أنكم إذا ساعدتمونا فى تشييد هذا البناء فإن مسجدكم سوف يصبح أغنى مؤسسة دينية على وجه الأرض.

وهذا الأمر هو الذى سوف يجعل بهمتكم مكاسبكم أكثر رواجاً وازدهاراً ولا يمكن ان يكون فيه أى نوع من الضرر أو الخسارة ونحن سوف نعطيكم أموالاً بالقدر الكافى لكى تنفقوها على بناء المعبد ولكم الحرية فى تقبل المعونات والهدايا والمساعدات، شريطة أن تخصصوا جزءاً محدوداً من المعبد للماسونية وما تبقى لكم الحرية فى التصرف فيه وذلك لأن المعبد ملك لكم ونحن سوف نقوم بإنشاء هذا البناء لكم دون مقابل.

وأنا أقترح أيضا أن يحول جزء من المعبد إلى مستشفى للسكان العرب اليهود فى القدس يقوم بمعالجة الفقراء مجانا وبعد أن يكتمل بناء المعبد فإن الأموال سوف تعرف طريقها إليه أكثر مما هو متوقع وذلك عن طريق عضوية أعضاء الماسونية. وأنا سوف أحضر إلى الأراضى المقدسة من أجل تصوير وإخراج فيلم سينمائى وهناك إمكانية كبيرة فى عرض هذا الفيلم الذى يدور حول جدنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وأيضا بناء المعبد وقصة ميلاد المسيح حتى صلبه فى المحافل الماسونية أعزائى الأفاضل: إننى لعلى يقين من أنكم سوف تقومون ببحث ومناقشة هذا الموضوع قبل وصولى إليكم وأتمنى أن يقبل أعضاء هيئة أمناء مسجد عمر دعوتى ويسمحوا لى بأن أتحدث معكم شخصيا خلال فترة إقامتى القصيرة. وفى النهاية فإنى أتمنى من الله العلى القدير الخير والبركة لكم جميعا»(٣٠).

الماسونية بين باقى العرب:

لأن الماسونية هى وليدة المدينة البرجوازية المزدوجة للغرب ففى كل مكان تخطو فيه الأطماع الاستعمارية الغربية نجد الماسونية أيضا تخطو خطواتها فى رفقتها ومعيتها، ولهذا السبب ففى دولة مثل تونس التى يرجع تاريخ الماسونية فيها إلى العقد الثامن من القرن الثامن عشر لا نرى نشاطاً ماسونياً كبيراً قبل احتلالها من قبل الاستعمار الفرنسى. وطبقاً للمعلومات الموجودة ففى سنة ١٧٨٤م/ ١١٩٩هـ كان يعيش فى تونس عدد من الماسون اليهود وغير أنه لم يكن لهم أى نوع من المحافل الماسونية وبعد أن احتل الاستعمار الفرنسى تونس فى عام ١٨٨١م/ ١٢٩٩هـ بدأت الماسونية فى توسعها فى هذه البلاد أيضا إلى درجة أن كثيراً من التقارير تثبت أنه فى عام ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ كان يعيش فى تونس أكثر من ٣٠٠ شخص من الماسون وفى سنة ١٩٣١م/ ١٣١٠هـ ش وصل عددهم إلى حوالى ألف شخص من الماسون.

والسابقة التاريخية للماسونية فى الجزائر تعود أيضا مثلها فى ذلك مثل تونس إلى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادى. وقد أرجح السيد الجزاوية ياكونو (Xovier

Yacono) الأستاذ فى جامعة تولوز الفرنسية (Toulouse) بداية الماسونية فى الجزائر إلى سنة ١٧٨٥م/ ١٢٠٠هـ. وهناك كتاب باللغة الفرنسية ورد فيه الحديث عن نشاط الماسونية فى ذلك البلد طوال قرن كامل – من ١٧٨٥م/ ١٢٠٠هـ: ١٨٨٤م/ ١٣٠٢هـ(٣١).

ومنذ بداية تاريخ الماسونية فى الجزائر نجد أفراداً من المسلمين قد انضموا إلى طائفة الماسون. وقد كتب إبراهيم ألفت فيما يتعلق بمسيرة الماسونية فى دولة الجزائر ما يلى: «لقد قبلت منطقة من بلاد القبائل (كابيلية)(٣٢) طريقة الماسونية عن طريق أحد زعماء القبائل فيها والذى كان قد قبل كماسونى فى إنجلترا وفى آخر حملة فرنسية على بلاد القبائل (كابيلية) مازالت هنا آثار باقية من هذا الجهاز، وكان أهالى بعض القرى عندما يقومون بإخلاء قراهم أمام تقدم القوات الفرنسية كانوا يتركون علامات الماسونية التى نسخت من الحصير والنسج فوق مساكنهم كما هى(٣٣).

ولكن من الواضح ان انتشار الماسونية فى الجزائر كان على صلة قوية بالحملة الفرنسية عليها فى سنة ١٨٣٠م/ ١٢٤٦هـ فقد كان الجيش الفرنسى يقوم بتأسيس الماسونية فى المستعمرات الأفريقية ومنها الجزائر بشكل منظم. وهذا الأمر له مزايا «سواء أثمرت فى مجال حسن التعامل والمودة بين الفرنسيين وأهل البلاد او فى مجال الاتحاد بين الغزاة وأهل البلاد الأصيلين».

وقد تأسس أول محفل ماسونى للفرنسيين فى الجزائر سنة ١٨٣٢م/ ١٢٤٨هـ فى مدينة الجزائر باسم محفل (بليزر) (Belisarius or Belisaire) وهو اسم لقائد رومانى شرقى كان يعيش فى عهد جوستنيان الأول (Justinin I)(٣٤).

ومن ذلك الوقت أخذ عدد الماسون فى الجزائر يزداد شيئا فشيئا إلى درجة أنه طبقا للمعلومات المتوفرة وصل عدد المحافل الماسونية فى سنة ١٨٥١م/ ١٢٦٨هـ إلى ١٤ محفلاً كما وصل عدد الماسون إلى ٨٤٠ شخصاً(٣٥).

ويعتبر سيد محمد بن على السنوسى (متوفى: ١٨٥٩م/ ١٢٧٦هـ وهو مؤسس الحركة السنوسية الشهيرة الواسعة الانتشار) واحداً من الشخصيات العربية البارزة فى شمال أفريقيا التى يذكر اسمها مع العلاقة بالنشاط الماسونى ويعود أصله إلى «الواسطة» فى الجزائر وكان يتبع المذهب السنى المالكى وبالإضافة إلى أنه كان يؤمن بالعودة فى المجال الفكرى إلى أصالة الإسلام الأول وتطهير الإسلام من التجديدات وكان يتبع المعتقدات والطرق الصوفية. وقد غادر الجزائر فى نفس السنة التى قام الفرنسيون فيها باحتلالها ١٨٣٠م/ ١٢٤٦هـ وظل فى مصر لمدة ومارس البحث فى جامعة الأزهر. أسس سيد محمد السنوسى جماعة السنوسية فى مكة فى سنة ١٨٣٧م/ ١٢٥٣هـ. وأسس مركزها الرئيسى فى سنة ١٨٤٣م/ ١٢٥٩هـ فى برقة (Syrenaica) المركزية فى ليبيا باسم «الزاوية البيضاء» ثم تمركز فى الجعبوب فى

ليبيا فى سنة ١٨٥٦م/ ١٢٧٣هـ وكان السنوسيون يروجون مطالبهم ومعتقداتهم عن طريق تأسيس مراكز باسم «الزاوية»(٣٦) فى جميع أنحاء شمال أفريقيا وقطاع من الشرق الأوسط إلى درجة أن عدداً كبيراً من الناس قد تحول إليهم(٣٧).

وقد كان لأخلاف سيد محمد السنوسى تدخل أيضا فى السياسة إلى درجة أن سيد أحمد الشريف السنوسى أعلن الجهاد لمواجهة هجوم الإيطاليين على ليبيا سنة ١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ(٣٨) وبعد ذلك استمر السنوسيون فى محاربتهم لسنوات عديدة(٣٩).

والآن لنرى كيف كانت علاقة سيد محمد السنوسى وجماعة السنوسين بالماسونية، فقد كتب جون نينه (John Ninet) الذى كان يعيش فى مصر منذ عام ١٨٥٦م/ ١٢٨٣هـ ولسنوات بعدها وقام بأبحاث حول المحافل السرية فى مصر وعلاقتها بالعناصر الأجنبية. كتب أنه قد دعى إلى مصر فى عهد حكم سعيد باشا (١٨٥٤: ١٨٦٣م/ ١٢٧١: ١٢٨٠هـ) حيث انضم إلى محفل تابع لماسون الشرق الأوسط (Qriental Freemasons) فى الإسكندرية وقد انتشرت هذه الحركة الماسونية بعد ذلك وأصبحت عامة. وطبقا لما قاله نينه فإن هذه الجمعية الماسونية لم تكن لها صلة بالمحفل الماسونى الأوروبى فى مصر والمسمى «الأهرام» وأن اعضاء ذلك المحفل المسمى بالشرق الأوسط لم يكونوا يعترفون رسميا على الإطلاق بأى أوروبى فى منظمتهم ولكن أفكارهم وآراءهم كانت متطابقة إلى حد بعيد مع أفكار وآراء الماسونية الأوروبية مع اختلاف فى أن الطابع الدينى لمنظمتهم لم يكن موجوداً فى المنظمات الماسونية الأوروبية، ويعتبر نينه أن سيد محمد السنوسى يعد واحداً من قادة فكرة الحرية والتحرر ويقول: إنه كان على صلة بالماسون فى مصر وكان من الأشخاص الذين نشروا بذور هذه المنظمة الماسونية فى مصر وكانت هى نفسها المنظمة الماسونية التى جعلت اسم سيد محمد السنوسى مشهوراً جداً بين المسلمين. ثم يعرض نينه بعد ذلك إلى النظام الماسونى لسيد محمد السنوسى حيث يقول إنه كان يقوم بنشر نوع من الماسونية كان لها طابع مذهبى دينى واضح وفى الحقيقة كان يدعو لاشتراكية دينية كانت قائمة على أساس من تعاليم الإسلام الأولى والأخوة العالمية والتحمل الدينى(٤٠).

ويبدو من آراء نينه أن سيد محمد السنوسى لم يكن على صلة بأى منظمة من المنظمات الماسونية العالمية فى أوروبا وكان فقد يقوم بتلقين وتعليم الكثير من أفكارهم وآرائهم وكان يستفيد من الأساليب والخصائص المهيمنة على شبكات الماسونية الأوروبية فى التخطيط وإدارة شبكة واسعة الانتشار ومنظمة مترابطة الزوايا للجماعة السنوسية. ومن الأفضل أن نتحدث هنا أيضا عن علاقة الماسونية والصلة بينها وبين العربية السعودية. إن علاقة الصداقة القوية التى تربط العائلة السعودية بالإنجليز والدور الواسع الشامل للاستعمار الإنجليزى فى إقرار سيطرة هذه الأسرة على الأراضى العربية ليس بالموضوع البعيد عن دائرة المعلومات التاريخية. فالتواجد الملحوظ للعناصر الإنجليزية والأمريكية فى دولة السعوديين، وخاصة

فى شركة بترول آرامكو يمنح من ذاته القوة والتدعيم لاحتمال وجود نشاط ماسونى فى هذه البلاد. وهذا فضلاً عن أننا نعرف أن الصداقة بين الأسرة السعودية والصهيونية وثيقة الصلة إلى درجة أن هناك وثيقة بخط السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود (توفى ١٩٥٣م/١٣٣٢هـ ش) تثبت أن المذكور قد أقسم «ألف مرة» للمندوب الإنجليزى ببرسى كلاكس (Sir Percy Cax) على أنه لن يتراجع عن «إعطاء»فلسطين إلى «مساكين اليهود» وأنه لن يعارض وعد الإنجليز فى هذا الموضوع حتى يوم القيامة(٤١). وإذا اعتبرنا صحة وجهة نظر الكثيرين من أصحاب الرأى التى تقول بوجود علاقة وثيقة بين الماسونية والصهيونية وخاصة فى العالم العربى فإن الماسونية من الممكن أن تكون لها حتى فى أقبح أشكال مخططاتها الاستعمارية مكانة عالية فى النظام الحاكم على الأراضى السعودية.

ولكن من ناحية أخرى فإن هؤلاء المنصاعين «لأمر الإنجليز» حتى يوم القيامة «والمانحين» فلسطين لليهود هم أنفسهم سدته بيت الله الحرام والحرم النبوى الشريف ولا يمكن أن يكون النشاط الماسونى فى قبلة مليار من المسلمين مقبولاً من وجهة نظر مسلمى العالم بأى حال من الأحوال أو حتى ذنبا يمكن غفرانه.

وربما من هذا المنطلق ليس لدينا أية معلومات من أى نوع حتى الآن عن كيفية العلاقة بين علماء السعودية والماسونية وكذلك الكتابات التى كتبها خبراء تاريخ الماسونية فى العالم العربى والتى استفدنا منها فى هذا البحث لم تتحدث فى هذا الموضوع. وما ورد إلى علمنا حتى الآن على العكس يثبت أن الماسونية والمنظمات الشبيهة لها قد تعرضت للرفض الشديد مرتين عل الأقل خلال السنوات الأخيرة من قبل الأوساط الدينية فى مكة وصدر القرار بتحريمها. ففى سنة ١٩٧٤م/ ١٣٥٣هـ ش عقد «مؤتمر عالمى للمنظمات الإسلامية» فى مكة وشارك فيه مائة وأربعون مندوباً حضر من بينهم وفد كبير على مستوى عال من مصر. وفى البيان الذى أصدره هذا المؤتمر تم إدانة المحافل الماسونية ونوادى الروتارى والليونز وحركات «التسليح الأخلاقى» و»أخوة الحرية» وورد فيه ما يلى:

١- على كل مسلم أن يقطع صلته وعلاقته على الفور بمثل هذه المنظمات.

٢- كل مسلم يظل على صلته بتلك المنظمات لا يجب أن يكون مسئولاً بأى من الشئون على الشئون والأمور الإسلامية، وهذا العمل يعتبر من المحرمات.

٣- من واجب كل دولة إسلامية أن تنهى نشاطات تلك المنظمات فى بلادها وتغلق المحافل التابعة لها.

٤- يجب ألا يوكل أى أمر من أمور البلاد والعباد لهؤلاء الذين يتبعون مثل هذه المنظمات ويجب مقاطعتهم.

٥- يجب فضح هؤلاء التابعين لمثل هذه المنظمات عن طريق نشر الكتب والكتيبات.

وطبقاً لما كتبته جريدة «أخبار العالم الإسلامى» فإنه بعد ذلك بأربع سنوات تماما أخذت خطوة متشددة ضد الماسونية وباقى النوادى والجماعات المماثلة وكانت هذه المرة فى مدينة مكة أيضا ومن قبل «المجمع الفقهى» فى هذه المدينة فقد أورد المجمع المذكور فى بيان أصدره بعد جلسة عقدها فى تاريخ ١٥ يونيو ١٩٧٨م/ ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ وبرئاسة «الشيخ عبد الله بن حميد» رئيس مجلس القضاء الأعلى: أن أعضاء «المجمع الفقهى» قاموا بأبحاث كثيرة حول الماسونية وقرأوا الكتابات والمؤلفات القديمة والجديدة التى ألفت حول هذه المنظمة وأطلعوا على الوثائق والمستندات التى نشرها الماسون أنفسهم وأقطاب الماسونية وخرجوا من ذلك بالنتيجة التالية:

«إن الماسونية منظمة سرية تحتفظ بالكثير من قواعدها وعاداتها وأهدافها فى صورة سرية على أساس خصائص زمانية ومكانية وتظهر بعض هذه القواعد والأهداف ولكنها تخفى مبادئها الحقيقة فى جميع الأحوال حتى على أعضائها ولا يطلع عليها إلا خواص الخواص منهم، ومسألة «الإخاء الإنسانى» التى تروجها الماسونية كذبا ليست أكثر من ادعاء وتظاهر كاذب يهدف إلى خداع الغافلين والبسطاء فى تفكيرهم. إن الماسونية لها أهداف سياسية وكان لها تورط وتدخل بشكل واضح وخفى فى الثورات السياسية والعسكرية والتغييرات المهمة. وهذه المؤسسة فى منشأها ومبناها على صلة وثيقة باليهودية والصهيونية العالمية ولها أهداف مناهضة للدين ونرى ضرورة القضاء على الدين بشكل عام وخاصة الدين الإسلامى والماسونية لها فروع وأسماء مختلفة مثل نوادى الليونز والروتارى وتحاول أن تمارس نشاطها تحت ستار أسماء وعناوين مختلفة. والواضح أن الماسونية استطاعت عن طريق صلتها باليهود والصهيونية العالمية أن يكون لها سيطرة على نشاط الكثيرين من زعماء الدول العربية وغير العربية فى الأراضى الفلسطينية وأن تجعل جميع الأنشطة والممارسات فى سبيل فائدة ومصلحة اليهود والصهيونية. ولهذا فإن «المجمع الفقهى» يعتبر الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة التى تخطو خطواتها لمناهضة الإسلام. ويعلن أن أى شخص يكون على صلته بها مع علمه بحقيقة أهدافها يعتبر وخارجاً وخارج عن ملة الإسلام»(٤٣).

لقد ذكرنا من قبل أن زعيم المذهب السنوسى فى شمال أفريقيا هو وحده الذى استفاد من أسلوب عمل الماسونية الأوروبية وأسس شبكة إسلامية خاصة ولكننا نعرف زعيماً مشهوراً آخر من نفس المنظمة فى العالم الإسلامى كان على صلة رسمية بالماسونية الأوروبية ودخل ضمن طائفة الماسون وليس هذا الشخص سوى الأمير عبد القادر الجزائرى الزعيم المشهور للمقاومة الجزائرية. وبين أيدينا آراء متضاربة حول النشاط الماسونى للأمير عبد القادر الجزائرى وكانت مسألة بداية تعرفه على الماسون من المسائل المثيرة للجدل والتى شغلت العلماء الخبراء بتاريخ حياة عبد القادر الجزائرى. ولهذا السبب ففى اعتقادنا أنه من المفيد أن نخصص الفصل التالى فى هذا البحث لعلاقة عبد القادر الجزائرى بالماسونية.

هوامش الفصل السادس

١- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٧٤.
٢- صفوة، الماسونية، ص٤٣٨.
Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ١٩.
لمعلومات أكثر حول علاقة الشيخ خزعل بالماسونية، انظر: الفصل الخامس من هذا الكتاب.
٣- صفوة، الماسونية، ص٣٧.
٤- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٧٥-٣٧٦. للتعرف على المعركة الكتابية التى قامت بين الكاثوليك والماسون حول هذه المسالة انظر: صفوة، الماسونية، ص٤٠ وما بعدها.
٥- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٧٦.
٦- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ٢٠.
٧- انظر: الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٧٤-٣٧٩؛ صفوة: الماسونية، ص٣٧-٤٥.
Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ١٨-٢١.
٨- زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٥٤ وما بعدها.
٩- صفوة، الماسونية، ص٢٩-٣٥؛ الوردي، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٦٨-٣٧٤.
لحديث أطول حول علاقة عبد القادر الجزائرى بالماسونية انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.
١٠- الوردى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٧٠.
١١- صفوة، الماسونية، ص٣٣-٣٤.
١٢- حماده، شهادات ماسونية، ص٦، ١٢٦.
١٣- نفس المؤلف، الروتارية والروتاريين، ص٦٢؛ صفوة: الماسونية، ص٣٤-٣٥.
١٤- Anonymous, ١٩٧١ ,List of Lodges, P. ١٨٩.
١٥- صفوة: الماسونية، ص٣٥.
١٦- نفسه، ص٣٥.
١٧- Landau, « Farmasuniyya «, P. ٢٩٦.
١٨- صفوة، الماسونية، ص٣٤.
١٩- Landau, «Farmasuniyya», P. ٢٩٦.
٢٠- «وعد بلفور» إشارة إلى الرسالة التى كتبها اللورد بلفور وزير الخارجية الإنجليزى فى تاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ حول رغبة وتأييد حكومة انجلترا فى تشكيل وإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين؛ حول هذا الموضوع انظر:
George Antonius, the Arab Auskening: The story of the Arab National Movement (N.Y., ١٩٦٥), P. ٢٤٣ ff.
٢١- صفوة، الماسونية، ص٣٦-٣٧.
٢٢- نفسه، ص٣١.

٢٣- Elie Kedouri, The Cathom house Nersion and other Middle Eastern studies (London, ١٩٨٤), P. ٣٢٧.

٢٤- F.J.Bliss, The Religions of Modern Syria and Palestine (١٩١٢).

٢٥- Kedourie, Catham house Version, P. ٤٥١.

٢٦- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ١٥;
صفوة، الماسونية، ص٣٢.

٢٧- زيدان، الماسونية، ص١٥٤-١٥٦.

٢٨- الورى، لمحات اجتماعية، الجزء الثالث، ص٣٨١.

٢٩- للتعرف أكثر على مسيرة الماسونية فى كل من سوريه ولبنان وفلسطين والأردن، انظر: صفوة، الماسونية، ص٣٦٨-٣٧٤؛ ٣٨١-٣٨٣. وكذلك انظر: صفوة، الماسونية، ص٢٩-٣٧. وانظر أيضا: زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٥٢-١٥٧.

Safwat, Freemasonry in the Arab World, PP. ١٤-١٨.

٣٠- تم نقل نص رسالة الماسونى الأمريكى من كتيب سيد محمد صادق سجادى (المُترجم) ماهية نوادى الروتارى وعلاقتها بالجمعيات الماسونية وأعمال الصهاينة التخريبية فى العالم (تهران: ١٣٥٧هـ.س)، ص٤٤-٤٦. وللاطلاع على كلام حسين عمر حماده والنص العربى للرسالة المذكورة انظر: حمادة، شهادات ماسونية، ص٤٢-٤٥، ٤٧. ولمعلومات أكثر حول ما ذكرناه فى هذا الجزء انظر: روزنامة اطلاعات، ٣٠ مرداد، ١، ٢ شهريور ١٣٤٨هـ.س.

Grayzal, History of the Jews, PP. ٦٥٥-٧١٩, and Passim; D. Hopwood, «Amin al Husayne», EI٢ Supplement, (١٩٨٠), PP. ٦٧-٧٠; A.Z.Wenstnck, «Masdjid al Aksa», Shorter Encyclopaedia of Islam (Leiden, ١٩٦١), P. ٣٥٣.

٣١- لمعلومات أكثر حول ما ذكرنا عن الماسونية فى تونس انظر:
Landau, « Freemasonry», P. ٣٥٣.
وللاطلاع على بحث ياكونو حول الماسونية فى الجزائر، انظر:
Xavier Yacona, Un Siecle de-franc-maconnerie (١٧٨٥-١٨٨٤), (Paris, ١٩٦٤).

٣٢- قابيليه (Kabylia) اسم لمنطقة جميلة فى الجزائر استخدمه الفرنسيون فى كتاباتهم ومعناه «بلاد القبائل» ويبدو أن هذه الكلمة جديدة لأنها لم تستخدم فى كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب ويقال إن الأوروبيين كانوا يستخدمونها منذ القرن السادس عشر الميلادى وما بعده؛ انظر:
R. Le Tourneau, «Kabylia», EI٢ (١٩٧٨) Vol. IV, PP. ٣٥٨-٣٦٤.

٣٣- الفت، فراماسونرى چيست، ص٣٨-٣٩.

٣٤- نفسه، ص٣٩.

٣٥- Landau, «Farmasunyyia», P. ٢٩٦.

٣٦- لمعلومات أكثر حول شبكة زوايا السنوسيين انظر: تيودور لوثراب شتودارد، حاضر العالم الإسلامى، ترجمة عجاج، نويهض وتعليق شكيب ارسلان (القاهرة، ١٩٧١)، الجزء الثانى، ص٣٩٧-٤٠٧.

٣٧- Nicola A. Ziadeh, Sanusiyah: A study of revivalist movement in Islam (Leiden, ١٩٥٨), PP. ٣٥-٧٢; Yaacov Shimoni and Evyatar Levine, editors,

,(١٩٧٤ ,٢٠th century (Jerusslem political Dictionary of the Middle East in the PP. ٣٣٧-٣٣٨.

٣٨- لمعلومات حول هذا الموضوع انظر: حائرى، تضامن إيران وليبيا ضد الإمبريالية.

٣٩- انظر: بهرام افراسيابى، ليبيا والتاريخ (تهران، ١٣٦٣هـ ش).

٤٠- Landau, «Secret Societies in Egypt», PP. ١٣٧, ١٦١-١٦٢.

٤١- تامر السعيد، تاريخ آل سعود (١٤٠٤هـ)، ص٩٥٠-٩٥١.

ويحوى هذا الكتاب معلومات منشورة حول العائلة السعودية لم يتم تحليلها وتفصيلها بشكل جيد، ومع الحوارات التى قام بها كاتب هذه السطور فى سنة ١٣٦٦ ش مع بعض من العلماء فى تاريخ العرب والشرق الأوسط فى بعض الجامعات الأمريكية والإنجليزية اتضح أنهم لم يعلموا حتى الآن شيئا عن هذا الكتاب ولم يكونوا على علم بوجوده أصلاً. وقد قمت فى سنة ١٣٦١هـ س بكتابة مقالة قدمت فيها هذا الكتاب لقراء الفارسية وتحدثت حول محتوياته المهمة ومدى إثارته لبعض التساؤلات؛ انظر: عبد الهادى حائرى «مقدمة للسوابق التاريخية لحركات شمولية الإسلام»، بخش سوم، مجلة دانشكدة ادبيات وعلوم انسانى دانشگاه مشهد، ١٥ (١٣٦١هـ س)، ص ٤٢٥-٤٢٦. ولكن إلى الآن لم يظهر شخص يكون لديه الاستعداد ليترجمه كله إلى الفارسية وحتى الآن لم يترجم وينشر إلا جزء يسير منه؛ انظر: تامر السعيد، ازكجا؟ بكجا؟ خاندان سعودى رايشناسيم، ترجمة أبو ميثم (وحيد) (تهران، ١٣٦٠هـ س). ويبدو أنه على الرغم من الرغبة الشديدة لدى الشعب الإيرانى للتعرف على موضوعات هذا الكتاب فإن جميع موضوعاته لن يتم ترجمتها إلى الفارسية على الأقل فى العصر الحاضر وذلك لأنه إلى جانب الفضائح المثيرة للعجب حول الحكام السعوديين، يوجد فيه أيضا آراء وأحاديث حول سيد محمد كاظم طباطبائى اليزدى، المرجع الشيعى الأعلى، لن تكون موضعاً لرضا وقبول المتصلين بالمسائل والأمور والشئون الشيعية.

٤٢- حمادة، الروتارية والروتاريون، ص١٣٩.

٤٣- نفس المؤلف، شهادات ماسونية، ص١٦٤-١٦٨.